

الجمعة في 18 آذار، 2011

نظرة تضاؤلية

في ساء حرب

منذ صيفي تستعويني المطالعة ويستهويتي التنقل بين رفوف المكتبات باحثة عن الاصدارات العربية والاجنبية الجديدة. هنالك لست بكاتبة أو ناقدة، بل هاوية تعشق الاطلاع على كل ما يتعلق بالعلوم والمعرف فهريا من المنشادات السياسية والانحرافات هي «مسيحيات» و«عشوات» تنتهي معظمها بصداع في الرأس، جراء الجدل المقيم في الشؤون السياسية أو آخر الظواهر الاجتماعية البراقة.

منذ أسبوع تقريباً، وبينما كنت كعادتي أتصفح جديد المؤلفات في الأسواق، استوقفني عنوان بشدة. نظرت إلى غلاف الكتاب لأقرأ العنوان مجدداً، هابتسمت لأنه استفز شعوراً عميقاً في داخلي... لقد استقررت كامرأة. اشتريت الكتاب وذهبت إلى المنزل وكلت شفف لأقراء وفي مخيالي شريط من الصور حماً قد يحتويه من مواضيع تتعلق بتحرير المرأة ومساواتها مع الرجل، الخ... فتحت الكتاب الذي يحمل عنوان «امرأة من المستقبل...» للكاتبة هيفاء العرب، وأذكر أني لم أفارق غرفة الجلوس حتى أنهيت آخر صفحة منه، وأذكر أيضاً كم علق زوجي يومها على عادتي السيئة تلك.

فيالى زوجي وإلى كل من لم يطلع على «امرأة من المستقبل...»، أدعوهـم إلى ذلك لأنـه كتاب يسوق مضمونه العميق وأسلوبـه الشيق وصورةـ الناطقة كلـ التوقعـات والتصـورـات... هـالكتاب رغم عنـوانـه الأنثـوي ورغمـ أنـ كـاتـبـه اـمـرأـةـ، إلاـ أـنـه يـحـلـلـ النـفـسـ البـشـرـيـ وـخـاصـيـةـ الـجـانـبـ الـذـكـوريـ منـهاـ وـيـشـرـخـهاـ...ـ أـهـنـتـ الكـاتـبـةـ عـلـىـ جـراـتهاـ وـفـطـنـتهاـ وـعـقـمـ مـفـرـفـتهاـ الـتـيـ جـعـلـتـهاـ تـفـهـمـ ذـكـرـ الرـجـلـ، وـتـصـوـرـ ماـ يـدـلـهـ فـيـ خـلـدـهـ بـدـقـةـ مـتـاهـيـةـ هـذـاـ تـفـوقـ دـقـةـ وـصـفـ الرـجـلـ أـحـيـاـنـاـ...ـ هـاـ جـمـلـ ماـ فـيـ الـكـاتـبـ أـنـ الـكـاتـبـةـ شـوـهـتـيـ إـلـىـ التـصـرفـ إـلـىـ عـلـومـ الـأـيـزـوـتـيرـيـكـ، الـتـيـ يـبـدـوـ أـنـهـاـ نـجـحـتـ فـيـ تـقـديـمـ ماـ تـلـمـلـتـ وـأـخـتـرـتـهـ مـنـ هـذـهـ الـعـلـومـ يـتـصـوـرـهاـ الـوـاقـعـيـ للـحـبـ الـأـصـيـلـ هـيـ الـمـسـتـقـلـ بـأـسـلـوبـ يـحـاكـيـ وـجـدانـ الـقـارـئـ مـنـ دـوـنـ اـسـتـدـانـ.ـ هـقـدـ أـخـرـجـتـ،ـ كـمـ تـقـولـ فـيـ مـقـدـمةـ كـاتـبـهاـ «ـمـسـأـلةـ تـحـقـيقـ التـوازنـ بـيـنـ الـفـكـرـ وـالـبـاطـفـةـ مـنـ النـطـاقـ الـجـدـلـيـ إـلـىـ النـطـاقـ الـعـمـلـيـ،ـ حـينـ أـوـضـعـ الـأـيـزـوـتـيرـيـكـ أـنـ الـمـرـأـةـ هـيـ كـمـالـ لـأـوـاعـ يـبـعـثـ عـنـ تـفـعـيلـهـ فـيـ الرـجـلـ؛ـ وـأـنـ الرـجـلـ هـوـ كـمـالـ لـأـوـاعـ يـبـعـثـ عـنـ تـفـعـيلـهـ فـيـ الـمـرـأـةـ...ـ هـلـاـ الـمـرـأـةـ قـادـرـةـ عـلـىـ تـفـعـيلـ وـعـيـهاـ مـنـ دـوـنـ الرـجـلـ،ـ وـلـاـ الرـجـلـ كـذـلـكـ الـأـمـرـ قـادـرـ عـلـىـ تـحـقـيقـ وـعـيـهـ مـنـ دـوـنـ الـمـرـأـةـ»ـ.

نعم، هـلـاـ هـرـاتـ كـتـابـاـ يـتـحدـثـ فـيـ الـحـبـ وـعـنـ الـحـبـ خـارـجـ أـطـرـ العـادـيـاتـ أوـ الـإـبـاحـيـاتـ اـحـيـاـنـاـ،ـ أـوـ حـتـىـ خـارـجـ أـطـرـ الـمـراـهـقـةـ وـالـعـذـابـ وـالـاـنـقـاطـ.ـ هـذـاـ الـكـاتـبـ يـبـعـثـ تـضـاؤـلـهـ فـيـ النـفـسـ لـأـنـهـ لـأـيـطـالـ بـتـحـرـيرـ الـمـرـأـةـ،ـ وـلـاـ يـأـنـتـزـعـ مـكـانـتـهاـ فـيـ الـمـجـتمـعـ،ـ لـأـنـهـ اـمـتـلـكـ الـوـعـيـ «ـفـرـضـهـ»ـ عـلـىـ الـأـخـرـ كـمـ تـفـرـضـ الشـعـوبـ حـرـيـتهاـ وـتـقـرـعـهاـ مـنـ بـرـائـنـ الـاضـطـهـادـ وـالـدـيـكـاتـوـرـيـةـ.ـ كـذـلـكـ الـأـمـرـ يـفـرـضـ الـمـرـءـ الـوـاعـيـ،ـ وـبـخـاصـيـةـ الـمـرـأـةـ الـوـاعـيـةـ،ـ مـكـانـتـهاـ وـشـخـصـيـتـهاـ وـاحـتـرـامـهاـ وـحـتـىـ مـسـاـوـاتـهاـ مـنـ دـوـنـ مـفـاضـلـةـ تـفـسـهاـ عـلـىـ الرـجـلــ.ـ قـبـطـلـةـ الـرـوـاـيـةـ أـنـيـ تـتـمـيـزـ بـشـخـصـيـةـ تـعـرـفـ مـاـ تـرـيدـ،ـ وـأـعـيـةـ لـأـمـرـهاـ تـمـتـعـ بـذـكـاءـ حـادـ وـوـضـوحـ دـاخـلـيـ جـعلـهاـ تـسـتـدرـكـ هـدـفـهاـ وـدـورـهاـ فـيـ الـحـيـاةـ عـامـةـ وـفـيـ الـحـيـاةـ الـمـشـترـكـةـ خـاصـةـ.ـ وـهـذـاـ مـاـ أـضـفـيـ عـلـىـ شـخـصـيـتـهاـ سـحـراـ وـجـاذـبـيـةـ وـأـنـوـثـةـ جـذـبـتـ بـهـ بـطـلـ الـرـوـاـيـةـ الـذـيـ كـانـ يـعـانـيـ مـنـ الـوـحـدةـ رـغـمـ مـكـانـتـهـ الـاجـتمـاعـيـ وـالـاـقـتصـاديـ،ـ وـرـغـمـ مـسـتـوـاـهـ الـعـلـمـيـ الـمـتـفـوقـ وـعـلـاـقـاتـ الـعـاـيـرـةـ الـتـيـ لـاـ تـحـضـيـ.ـ هـذـهـ كـلـمـاتـ الـكـاتـبـ تـكـشـفـ بـيـشـامـيـ الـحـبـ وـالـعـلـمـ بـيـنـ الـمـرـأـةـ وـالـرـجـلـ عـبـرـ الشـرـكـةـ الـمـشـاعـرـيـةـ وـالـفـكـرـيـةـ،ـ وـالـجـسـدـيـةـ الـوـاعـيـةـ،ـ وـعـبـرـ تـحـمـلـ مـسـؤـولـيـةـ كـلـ مـتـهمـاـ فـيـ تـحـمـلـيـ تـقـلـيـاتـ النـفـسـ الـبـشـرـيـةـ لـأـنـجـاحـ الـحـبـ وـتـبـيـةـ النـقـصـانـ فـيـهـمـاـ....ـ

لنـ أـخـوـصـ فـيـ تـفـاصـلـ الـرـوـاـيـةـ كـيـ يـتـمـتـعـ كـلـ مـنـ لـمـ يـطـلـعـ عـلـيـهاـ كـمـ اـسـتـلـذـتـ بـقـرـاءـتـهاـ،ـ وـلـاـ أـسـتـقـرـبـ لـنـ رـأـيـتـ هـرـبـاـ فـصـولـ هـذـهـ الـرـوـاـيـةـ الـمـشـوـقـةـ مـسـلـسـلـاـ يـمـرضـ عـلـىـ شـاشـاتـ الـتـلـفـزـةــ.